دور الترجمة في تعليمية و تحسين مستوى اللغة الأجنبية (الفرنسية) في الجزائر

عائشة عكاك
فاطمة عليوي
معهد الترجمة (جامعة الجزائر2)

الملخص :

لم تعد الترجمة وسيلة من وسائل تعليم اللغات الأجنبية و تعلُّمها في الجزائر، رغم أنها كانت فيما مضى الأكثر نجاعة و تداولا لذلك، إذ أصبحت اللغات تدرّس بطريقة مباشرة على المتعلمين و هو ما يفسر العراقيل التي تعترض المتعلمين في تعلم اللغات و الأخطاء التي يقعون فيها في استعمالها الشفوي و الكتابي. فما هو واقع التعليم و تدريس اللغة الفرنسية في الجزائر؟ وكيف يمكن للترجمة التعليمية أن تسهم في تحسين طرق تعليم اللغات الأجنبية و أساليب تعلمها؟ و هو ما سيطرح للبحث من خلال دراسة تطبيقية على عينة من تلاميذ اللغات الأجنبية بثانويات الجزائر غرب تم إخضاعهم طواعية لتمرين في الترجمة لنص أدبي le fils du pauvre لمولود فرعون من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية.

الكلمات المفاتيح: اللغات الأجنبية– المتعلِّمين– الأخطاء– الترجمة التعليمية– أساليب التعلُّم.

تمهيد:

تراهن معظم البلدان في منظوماتها التربوية على تدريس اللغات الأجنبية الأكثر استيعابا للمعارف الجديدة، كما تراهن على الطرائق الأكثر نفعا و نجاعة في تكوين المعلمين و المتعلمين.

رغم أن الترجمة تعد الوسيلة الأولى و الأقدم في عملية تعليم اللغات الأجنبية و تعلُّمها، و رغم أنها كانت لفترة طويلة إحدى الطرائق الأكثر نجاعة و تداولا في تعليم اللغات الأجنبية، إلا أنها أصبحت بداية سبعينيات القرن الماضي و مع ظهور الطريقة المباشرة، غير مرغوب فيها عند بعض معلمي اللغات الأجنبية الذين لم يتسن لهم التعامل مع الترجمة كوسيلة تعليمية في أقسامهم الدراسية، و أصبحوا يتحاشونها بحجة أن درس اللغات الأجنبية مخصص لعرض هذه اللغات بطريقة مباشرة على المتعلمين، و اتخاذها فضاء لممارستها، كما يتحججون بكثافة البرامج و الحجم الساعي وغيرها.... و بالتالي لم تدرج كأداة تعليمية في البرامج و المناهج التربوية الخاصة بتعليم اللغات الأجنبية. و مع ذلك نلاحظ عودة بعض البلدان، و لاسيما الغربية منها الى استعمال الترجمة في المناهج التعليمية للغات، في حين بقي الأمر على ما هو عليه في بلادنا العربية و لم يتغير بعد بشكل رسمي على الأقل.

و يلاحظ أيضا أن حصص تعليم اللغات الأجنبية لدينا–اللغة الفرنسية بالتحديد– في الأطوار التعليمية الثلاثة (ابتدائي، متوسط، ثانوي) غالبا ما تعتمد في شرح الدروس على الترجمة من اللغة الثانية

إلى اللغة الأولى، و التي هي اللغة الأم للمتعلم، و يكون هذا بطريقة تلقائية و عفوية لتمرير الرسالة أمام تدني مستوى التلاميذ بصفة عامة.

1. دور اللغة و أهميتها:

اللغة مرآة المجتمع و هي تستمد هويتها من هوية أفراده، تقوى بقوتهم و تضعف بضعفهم، فإذا هيمنوا هيمنت لغتهم و سيطرت و إذا ضعفوا و وهنوا ضعفت و اندثرت كما هو حال اللغات القديمة. لذا فإن مختلف مناشير المنظومة التربوية و تعليماتها البيداغوجية تلح على ضرورة أن يتقن المتعلّم لغتين أجنبيتين على الأقل إلى جانب اللغة الأم كهدف جوهري و أساسي في العملية التعليمية. و باعتبار اللغة الفرنسية اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر، سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على وضعية هذه الأخيرة في المدرسة الجزائرية و ما مدى تلازم اللغات الأجنبية بالترجمة كوسيلة تعليمية.

2. وضعية التعليم و اللغة الفرنسية في الجزائر:

مرَّ تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر بفترات متباينة، وهي كالتالي:

1.2. أثناء الاحتلال الفرنسي:

تعتبر اللغة إحدى مقومات الهوية الوطنية و مظهر من مظاهر الانتماء إلى الوطن والافتخار والاعتزاز به، لهذا عمدت فرنسا ما إن دخلت الجزائر إلى طمس الشخصية الجزائرية و مقومات هويتها. فكان من بين أهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية، القضاء على اللغة العربية و محاولة ترسيخ اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري، لما للغة من أهمية في التواصل و التعامل و نشر الأفكار والايديولوجيات، و لأن اللغة العربية كانت منتشرة في كل أنحاء الجزائر بفضل الزوايا و المساجد التي كانت تعنى بتعليم و تحفيظ القرآن و كذا علوم اللغة من نحو و صرف، فسرعان ما ضمتها فرنسا إلى مؤسستها الإدارية أو العسكرية و غيرها منتهجة بذلك سياسة القضاء على اللغة العربية و بداية تأصيل اللغة الفرنسية حتى تحكم سيطرتها على الشعب الجزائري و يصبح خاضعا لها. و يقول **رامبو** Alfred Nicolas Rambaud في السياق ذاته:

« La première conquête de l'Algérie a été accomplie par les armes….La seconde conquête a consisté à faire accepter par les indigènes notre administration et notre justice .Notre troisième conquête se fera par l’école, elle devra assurer la prédominance de notre langue sur les divers idiomes locaux » (Voir : Revue Educateur, N°9, 2007).

تم احتلال الجزائر أولا بالسلاح... ، وثانيا بإخضاع الأهالي لإدارتنا وعدالتنا، وسيكون ثالثا من خلال المدرسة، التي ستفرض لغتنا على حساب مختلف اللهجات المحلية. (ترجمتنا)

كما تبرز الفكرة نفسها لدى le Duc D'Aumale نقلا عن أجرون Ch.-R. Ageron بقوله:
« L'ouverture d'une école au milieu des indigènes vaut autant qu'un bataillon pour la pacification du pays » (Ibid).

فتح مدرسة بين الأهالي يضاهي وجود فيلق يحفظ سلام البلاد. (ترجمتنا)

و عليه بدأت فرنسا بإدراج اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية في المدارس المخصصة للأهالي. إلا أن الشعب الجزائري أو من كانت تسميهم فرنسا بالأهالي، رفضوا هذا التعليم و منعوا أبنائهم من الالتحاق بهذه المدارس، باعتبار فرنسا البلد المغتصب و كذلك بسبب الفقر المدقع الذي كان يعيش فيه معظم الجزائريين و بالتالي عدم قدرتهم على توفير مصاريف دراسة أبنائهم، إضافة إلى أن معظم الأبناء كانوا يعيلون أهاليهم من أجل العيش. لقد التحقت قلة قليلة فقط من الجزائريين - خاصة الذين كانوا يعيشون في المدن الكبرى- بهذه المدارس، لأن التعليم كان السبيل الوحيد للحصول على عمل في الإدارة الفرنسية و بالتالي ضروريات العيش. و بحلول سنة 1944، صدر المرسوم المؤرخ في 27 نوفمبر، الذي نص على إجبارية التعليم الابتدائي لكل الأطفال دون تمييز فاختلط تعليم الأهالي بتعليم الأوربيين. إذ أصبحت مناهج و طرائق التعليم واحدة للجميع، و أضحت اللغة الفرنسية تُدرَّس للجزائريين و كأنها اللغة الأم. و كان الحجم الساعي المخصَّص للغة العربية لا يتعدى الساعتين في الأسبوع. وبالتالي تطورت الفرنسية على حساب العربية، و لولا جهود الكتاتيب و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاضمحلت واندثرت.

2.2. بعد الاستقلال:

عمدت الجزائر مباشرة بعد استرجاع سيادتها سنة 1962 إلى انتهاج سياسة التغييرو جزأرة كل ما فرنسه المستعمر. لقد وجدت الجزائر نفسها في مواجهة تحديات كبيرة كالتخلف الاجتماعي والأمية والفقر وغيرها. ولأن اللغة الفرنسية كانت لغة المستعمر الغاشم وإرثا لغويا ثقيلا، كان لزاما على الدولة الجزائرية الفتية إعلان اللغة العربية لغة وطنية رسمية وكذا وجوب تعميمها في التعليم الجزائري حتى وإن لم تكن الإمكانات المادية والبشرية آنذاك متوفرة فاضطرت إلى إحضار أساتذة من مصر وسوريا... ولقد تم تنصيب أول لجنة لإصلاح التعليم ووضع خطة تعليمية في 15 سبتمبر1962، وتم نشر تقريرها نهاية

سنة 1964. إلا أن نهاية الستينيات شهدت تنصيب لجنة ثانية لإصلاح المنظومة التربوية. ثم عرفت الفترة الممتدة ما بين 1970 و 1980 إعداد ملفات مشاريع كمشروع 1973 ووثيقة اصلاح التعليم سنة 1974 التي عدلت في شكل أمرية 16 أفريل 1976، وهي الأمرية المتعلقة بتنظيم التربية، التعليم والتكوين، والتي من بين ما نصت عليه: توحيد التعليم وإجباريته، إعادة هيكلة التعليم الثانوي وظهور فكرة التعليم الثانوي المتخصص. ومن ثم ظهور ضوابط جديدة للانتقال والتوجيه، وإعادة النظر في شُعَب التعليم التقني و تحديث برنامج المعاهد التكنولوجية و تخفيف البرامج التعليمية.

ويمكن تلخيص المراحل التي مرَّ بها التعليم في الجزائر بعد الاستقلال فيما يلي:

- **المرحلة الأولى** (1962-1970): تم فيها تنصيب لجنة إصلاح التعليم والتوظيف المباشر للممرنين والمساعدين. إلى جانب توسيع شبكة المرافق التربوية واللجوء إلى عقود التعاون مع الأشقاء والأصدقاء لسد الحاجة. كما تم فيها تأليف الكتب وتوفير الوثائق التربوية.
- **المرحلة الثانية** (1970-1980): صدرت في هذه الفترة أمرية 35/76 المتعلقة بتنظيم التربية والتكوين. كما تم تجديد مضامين المناهج وتعميم التعليم المتعدد الشعب وتطبيق سياسة الجزأرة.
- **المرحلة الثالثة** (1980-2003): والتي تم فيها تعميم المدرسة الأساسية مع إصلاح التعليم الثانوي وهيكلته وكذا تعديل مناهج التعليم.
- **المرحلة الرابعة** (2003- 2006): و قد تم فيها تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم ودخول الإصلاحات حيز التنفيذ. كما تم تنصيب اللجان المتخصصة لإصلاح المناهج (أنظر fpemsila.arabepro.com/t425-topic).

هذا فيما يخص المنظومة التربوية عموما. أما عن وضع اللغة الفرنسية، فيمكن القول أنه حتى وإن كانت لسياسة جزأرة النظام التربوي، وبالتالي البرامج التعليمية الموروثة عن المستعمر من أولويات السلطات الجزائرية، إلا أنها لم تنكر كون الفرنسية لغة التكنولوجيا و الفكر المعاصر. و كل ما قامت به هو إبعاد وإلغاء ما كان له بعدا ايديولوجيا خاصة في النصوص الأدبية وعوضت ذلك بنصوص لأدباء جزائريين يكتبون باللغة الفرنسية ككاتب ياسين، مولود فرعون وغيرهم...

اكتست اللغة الفرنسية بداية من سنة 1975 صفة "اللغة الأجنبية"، وباتت أهداف تدريسها أكثر وضوحا ويتمثل أهمها في: تمكين المتعلِّم منها كتابة ونطقا، وكذلك تمكين المتعلِّم من فهم النصوص شفهية كانت أو مكتوبة. ولقد نصت أمرية 1976 على ما يلي: "توفر المدرسة تعليم اللغات الأجنبية حيث يُتاح للتلميذ الاستفادة من الوثائق البسيطة المحرَّرة بهذه اللغة والتعرُّف على الحضارات الأخرى

وتنمية التواصل بين المجتمعات. وقد تم اختيار اللغة الفرنسية نظرا للظروف التاريخية و الإمكانات الثقافية والبشرية" (أمرية رقم 04/08: 1976).

وابتداء من الثمانينيات إلى غاية سنة 2003، عرفت المنظومة التربوية توجهات جديدة، إذ استعادت اللغة الفرنسية صفتها الخاصة واعتبرت لغة تعليم المواد العلمية الأساسية. كما عرفت هذه الفترة بداية إصلاحات جديدة، حيث مسَّ الإصلاح سنة 2007 الطور الثانوي بما فيه تكوين الأساتذة وتغيير البرامج التعليمية بهدف تحضير التلاميذ للدراسات الجامعية.

و يشهد قطاع التعليم اليوم ما يعرف بإصلاحات جديدة أو ما يسمى بإصلاحات الجيل الثاني.

3. كيفية توجيه تلاميذ السنة أولى ثانوي:

بمقتضى المنشور الوزاري رقم:219/1241/91 المؤرخ في 1998/12/18 تم تعيين مستشاري الإرشاد والتوجيه في المؤسسات التربوية الجزائرية. ويعمل هؤلاء المستشارين على مساعدة التلاميذ على اختيار الشعبة التي يودون التخصص فيها وفق مقاييس ومعايير حددتها وزارة التربية.

إذ يقبل التلميذ المتمدرس في نهاية السنة الأولى ثانوي وبعد الجذع المشترك على عملية القبول والتوجيه إلى السنة الثانية. ينبثق عن كل جذع مشترك في السنة الثانية ثانوي عدة شعب هي شعب التعليم الثانوي العام والتكنولوجي. و تنبثق عن الجذع المشترك علوم و تكنولوجيا أربع (4) شعب، و هي: شعبة الرياضيات، شعبة العلوم التجريبية، شعبة تسيير واقتصاد وأخيرا شعبة تقني رياضي. أما عن الجذع المشترك آداب فتنبثق شعبتين (2) اثنتين، وهما: شعبة آداب وفلسفة وشعبة اللغات أجنبية.

أما بالنسبة إلى الجذع المشترك آداب فيوجه التلميذ إلى إحدى الشعب التابعة للجذع، وهذا بعد أن يتم قبوله في السنة الثانية ثانوي وفقا لمقاييس التوجيه الآتية:

1) النتائج المدرسية المحصل عليها في المواد الأساسية الخاصة بكل شعبة، وذلك من خلال مجموعات التوجيه وبروز ملمح التلميذ التربوي. ويقصد بمجموعات التوجيه تلك المواد الأساسية التي تؤدي إلى شعبة معينة. ومواد شعبة اللغات الأجنبية هي: اللغة العربية واللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافيا. نلاحظ أنها المواد ذاتها بالنسبة إلى شعبة آداب وفلسفة إلا أنها تختلف في المعاملات.

2) رغبة التلميذ بشرط أن تتناسب هذه الأخيرة مع قدرات التلميذ وإمكاناته، إذ توزع بطاقة الرغبات على تلاميذ السنة الأولى ثانوي في الفصل الثاني من أجل اختيار الشعبة المراد الالتحاق بها.

3) اقتراح الأساتذة وآرائهم أثناء مجالس الأقسام وأيضا مجالس التوجيه المسبق والنهائي.

4) اقتراح مستشار التوجيه المدرسي وملاحظاته من خلال متابعة النتائج وتقويمها خلال العام الدراسي.

5) المقاعد البيداغوجية لكل شعبة من خلال خلق توازن بين الرغبة وعدد الأفواج المفتوحة لكل شعبة (أنظر http://www.education.gov.dz).

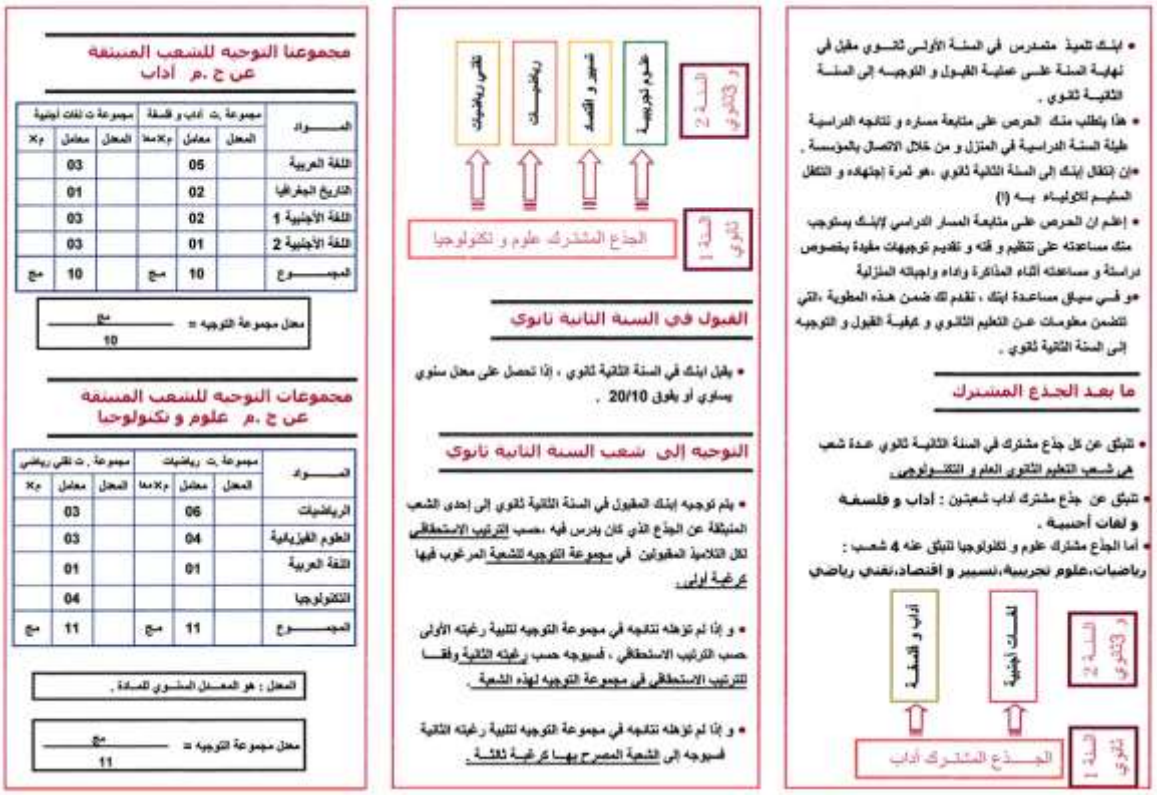

توجيه تلاميذ السنة الأولى ثانوي حسب مختلف الشعب

(أنظر https://www.youtube.com/watch?v=igNVdlXhKcI)

4. الترجمة وتعليمية اللغات:

من المعلوم أن الترجمة كانت دائما في خدمة تلقين اللغات الأجنبية و حظيت في هذا المجال بمكانة لا مثيل لها، كما أنها كانت محط اهتمام الباحثين خاصة اللسانيين منهم، لأن اللغة هي أداة للتعبير عن الأفكار و التواصل مع الآخر و هي أساس كل العلوم. و لقد كان يتم تعليم اللغات الأجنبية عن طريق تلقين المتعلم قوائم طويلة من المفردات و القواعد، إلا أن هذه الطريقة وصفت بأنها سلبية وعقيمة لا تؤدي الهدف الذي يصبو إليه المتعلم والمتمثل في الممارسة الفعلية للغة، و هذا ما تسعى إليه الطرق الحديثة. إذن الغاية واحدة: الممارسة الفعلية للغة كما أنها(أي الطرق التقليدية و الحديثة على حد سواء) تدرج تمارين الترجمة من و إلى اللغة الأم و توظف الترجمة لخدمتها و للتحقق من اكتساب المعارف النحوية و المعجمية و تثبيتها في أذهان المتعلمين.

و يقول إدموند كاري بشأن الترجمة و التعليم:

«L'enseignement se sert de la traduction, il ne la sert pas » (Cary, 1956 : 167).

أي أن التعليم يستفيد من الترجمة في عملية اكتساب اللغات و لا يخدمها في حد ذاتها.

و من جهة أخرى، هناك جون دوليل J. Delisle الذي يميز بين ما يعرف بالترجمة التعليمية traduction pédagogique و الترجمة المهنية traduction professionnelle حيث يقول:
« La traduction proprement dite vise à la production d'une performance pour elle-même (performance cible) : la traduction pédagogique est seulement un test de compétence (compétence cible et compétence source) et s'intègre à un ensemble pédagogique plus vaste » (Delisle, 1980 : 4).

أي أن الترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة تهدف إلى أداء فعل الترجمة و إنتاج نص ذي غاية محددة في اللغة الهدف. في حين أن الترجمة التعليمية هي مجرد اختبار لكفاءة المتعلمين في ممارسة فعل الترجمة بين لغتين المصدر و الهدف.

5. الفرق بين الترجمة التعليمية و المهنية:

1.5. الترجمة التعليمية:

لاشك أن الترجمة التعليمية تختلف عن الترجمة المهنية في مناهجها وأهدافها حيث تقول **جرمان فورج** و**ألان برون:** "تهدف الترجمة التعليمية أو البيداغوجية إلى تعليم عملية النقل اللغوي والمعنوي لجمهور (متعلمين) لا يتقنون اللغة المنقول منها إتقانا جيدا" (أنظر 13: Forges et Braun 1998).

و بمعنى آخر يُقْصَدُ بها استخدام تماربن الترجمة بهدف تعليم لغة أجنبية أخرى. و قد كان **دوليل** كما سبق ذكره، أول من استعمل هذا المصطلح و ميَّزه عن الترجمة المهنية حيث اعتبر الترجمة التعليمية أولا و قبل كل شيء أداة لملاحظة سير نظامي اللغتين المنقول منها و إليها، أي أنها ليست بمنهجية ترجمية في حد ذاتها بل وسيلة لتعلم واكتساب لغة أجنبية ما ووسيلة للتحقق من ثبات المعلومة وصحتها.

أما لادميرال Jean-René Ladmiral فقد ميَّز بشكل واضح بين "الترجمة بالمعنى الحقيقي للكلمة" أي ما يسميه "الترجمة الترجمية" « traduction traductionnelle » و"الترجمة البيداغوجية أو الترجمة التعليمية" ، أي ما يترجمه الطلبة من لغتهم الأم إلى اللغة الأجنبية أو من اللغة الأجنبية إلى اللغة الأم باعتبارها نمطا من أنماط الترجمة، أي بوصفها تمرينا تعليميا، حيث يقول لادميرال:
«Le thème et la version définissent un type tout à fait particulier de traduction : la traduction comme exercice pédagogique » (Ladmiral, 1979 :41).

كما تدافع إليزابيت لافو E. Lavault عن الترجمة و تؤكد أنها تبقى عند متعلمي اللغات الأجنبية حرفية متعلقة بالكلمات أو الجمل، و أنه كلما زاد السياق غموضا كلما تمسك المتعلم بالكلمات و لجأ إلى الترجمة الحرفية. كما تصفها بأنها عملية بيداغوجية و لها وظيفتين، أولا: الوظيفة التفسيرية fonction explicative، و تتعلق بالمعجم أو قواعد اللغة غير المتقنة. وثانيا: وظيفة المراقبة

fonction de contrôle، و تتعلق أساسا بتمارين النقل(version/thème) أي تقييم أداء المتعلم و مدى نجاح المعلم أو إخفاقه في العملية التعليمية. إذ تقول **لافو** بما معناه أن الهدف من الترجمة التعليمية أو البيداغوجية هو "هدف تعليمي أساسا، بالتالي تغدو الترجمة وسيلة بدلا من أن تكون غاية، لأن الأهم هنا ليس الرسالة، و لا المعنى الذي يحمله النص ...." حيث تقول **لافو** في النص الأصل:

« L'objectif de la traduction pédagogique est essentiellement didactique… La traduction n'est plus une fin mais un moyen, dans la mesure où ce qui importe, n'est pas le message, le sens que le texte véhicule, mais l'acte de traduire et les différentes fonctions qu'il remplit : acquisition de la langue, perfectionnement, contrôle de la compréhension, de la solidité des acquis, de la fixation des structures…» (Lavault, 1985 : 18).

و تتفق كريستين ديريو Christine Durieux مع **لافو** في أن الترجمة البيداغوجية أو التعليمية هي جزء من مجال تعليم اللغات و إتقانها و يُعْتَمَد في ذلك على اللغة الأم. و بالتالي تصبح الترجمة وسيلة تعليمية تمكِّن المعلِّم من تقديم المعرفة اللغوية إلى المتعلِّم. و يعتمد هذا النوع من التمارين على الترجمة الشفهية الجماعية أو التحريرية الفردية، حيث يلفت المعلِّم انتباه المتعلمين إلى المعجمية و التراكيب النحوية الصحيحة. و يتمكن المعلِّم من خلال تصحيح أخطاء الطلبة و مستواهم الحكم بالنجاح أو الإخفاق على الطريقة البيداغوجية التي يتبعها. و هو ما تحدده في قولها:

« La traduction est …la mise en contact de deux langues... La traduction permet de mettre en évidence les différences de découpage du lexique et de structures syntaxiques entre les deux langues et, ainsi, contribue à l'apprentissage de la langue étrangère. Outre la fonction d'exercice d'apprentissage, la traduction joue un double rôle pédagogique : d'une part, elle sert de contrôle des connaissances, puisqu'en effectuant la traduction l'apprenant apporte la preuve qu'il a bien appris les listes de vocabulaire et les règles de grammaire et qu'il sait les appliquer ; d'autre part, elle sert de support de retour d'information pour l'enseignant qui, en évaluant les traductions effectuées par les apprenants, peut se rendre compte de la manière dont son enseignement a été reçu et de son efficacité » (Durieux, 2005 :37) .

2.5. الترجمة المهنية:

يقول **جون دوليل** فيما يخص الترجمة المهنية:

«Enseigner à traduire , c'est faire comprendre le processus intellectuel par lequel un message donné est transposé dans une autre langue, en plaçant l'apprenti-traducteur au cœur de l'opération traduisante pour lui en faire saisir la dynamique s'exerçant sur le sens d'un message, le transfert interlinguistique est une analyse et une restitution de rapports sémantiques. Cette démarche interprétative d un texte, cette analyse du discours est un acte d'intelligence qui ne se ramène pas à une simple confrontation de systèmes linguistiques, elle exige une grande faculté de compréhension alliée à la capacité de manier le langage » (Delisle, 1980 :16).

أي أن الترجمة بالمعنى الدقيق للكلمة تهدف إلى ممارسة الترجمة من أجل الترجمة. ويضيف **دوليل** أن تعليم الترجمة هي فهم العملية الذهنية التي تمت بها كتابة خطاب ما في لغة أخرى ... إن هاتين العمليتين، أي فهم النص و تحليل الخطاب لا تعتمد على المقابلة بين نظامي لغتين بل تتطلب مهارة الفهم المرتبطة بالقدرة على الاستعمال السلس للغة.

يميز **دوليل** كما سبق ذكره بين الترجمة البيداغوجية أو التعليمية والترجمة الاحترافية التي تهدف إلى" تأهيل مترجمين محترفين يملكون منذ البداية معرفة جيدة باللغات"(... طرق و مناهج تعليم الترجمة...) و هي تمارس في المدارس أو المعاهد أو عن طريق برامج تكوين المترجمين، و هي عملية اتصالية ما بين اللغات مبنية على تأويل أو فهم المعنى الحقيقي لخطاب ما. كما يميز **دوليل** بين النصوص التي يتعامل معها المترجم و متعلِّم اللغة الأجنبية، فالمترجم ينقل نصوصا متعددة التخصصات أي نصوصا براغماتية قد تكون صادرة عن هيئات أو مؤسسات عامة و خاصة أو مجلات أو جرائد وغيرها. أما المتعلم فيتعامل مع نصوص أدبية أو جمل أو فقرة مستقلة تكون خارج سياق النص. ثم إن الجمهور المستهدف يختلف في كلتا الحالتين، فالأستاذ هو جمهور المتعلم في حين يمتد جمهور المترجم من عامة الناس إلى أهل الاختصاص.

أما بالنسبة لماريان لوديرر Marianne Lederer فيهدف تعليم الترجمة إلى تزويد الطلبة الذين قد أتقنوا اللغة مسبقا بمنهجية عمل فعالة في الترجمة: إذ يقوم المترجم في أول الأمر(المرحلة الأولى) بفهم و إدراك المعنى، ثم ينطلق من المعنى إلى إعادة التعبير، وبالتالي فهو يعتمد في الأول على اللغة المصدر ثم يقوم بإنشاء صورة ذهنية تجسد المعنى المدرك و تعتبر هذه العملية نقطة ارتكاز عملية الترجمة ومن ثم ينتج نصا مكافئا للنص المصدر وتكون هذه المرحلة الثانية.

و يقول **كاري** بدوره عن الترجمة المهنية:

« En traduction professionnelle, il n'existe pas de traduction dans l'abstrait. Le traducteur travaille sur un texte donné, à une certaine époque, dans un certain pays, pour un certain public en vue d'une utilisation déterminée » (Cary, 1956 :25).

أي أن الترجمة المهنية تختلف كل الاختلاف عن الترجمة البيداغوجية، لأن الترجمة المهنية تتم لهدف معين يحدده الغرض من ترجمة النصوص المتنوعة بحسب طبيعتها وغاياتها، فهي نصوص تداولية تبتعد عن التجريد و لا تحتمل الخطأ أي كان، أي أنها تستهدف العملية الترجمية من أجل الترجمة و النجاح في إيصال الرسالة المنقولة.

6. أساليب تعليم اللغات في سياق الترجمة:

يتجلى ترابط الترجمة وتعليم اللغات الأجنبية وتلازمهما إذ تبدو الترجمة أداة فعالة لمدرسي اللغات الأجنبية. ففي الوقت الذي تخلى فيه مدرسو اللغات الأجنبية عن الترجمة، و اعتمدوا الطريقة المباشرة في التعليم، يتذمر معظمهم - و على وجه الخصوص مدرسو اللغة الفرنسية - من الوضعية التي آلى إليها تعليم اللغة التي يدرسونها و التدني المستمر لمستوى التلاميذ الذي أصبح محبطا و لا يدعو إلى التفاؤل. غير أن نسبة قليلة من هؤلاء الأساتذة تستطيع تحديد الأسباب الفعلية لهذا الفشل. و بحكم طابعنا المهني و ما نعايشه يوميا مع أبنائنا و تلاميذنا و المجتمع من حولنا، يمكننا أن نؤكد حقيقة أن اللغة الفرنسية تعيش وضعية صعبة في ظل لا مبالاة الأعضاء الفاعلين كالسياسيين و خبراء المناهج والمديرين و التلاميذ و أوليائهم إذ يعتبر هؤلاء الأعضاء بمثابة السلسلة إذا فقدت إحدى حلقاتها تقطعت .

ارتبط تعليم اللغات الأجنبية ارتباطا وثيقا بالترجمة، وحظيت هذه الأخيرة بمكانة مرموقة في هذا المجال، إذ اعتبرت و لمدة طويلة طريقة من طرائق تعلم اللغات الأجنبية. فكان درس اللغة الأجنبية يستند إلى اللغة الأم و إلى الترجمة. و لقد عني هذا المجال باهتمام كبير لأن اللغة آداة تواصل و مرآة المجتمع و حافظة ثقافته و عاداته و تقاليده و معتقداته وغيرها ... و لتحقيق الأهداف المطلوبة من تعلم اللغة الأجنبية يتبع المعلم طريقة تتضمن وسائل و أساليب معينة، غير أنه لا يوجد طريقة مثلى تناسب كل المتعلمين في كل الظروف و البيئات و كذلك لأنه لكل طريقة مزايا و نقائص. من بين طرائق تعليم اللغات الأجنبية طريقة الترجمة و الطريقة المباشرة و الطريقة التواصلية و الطريقة السمعية الشفهية وغيرها....

كانت الترجمة إذن إحدى هذه الطرائق لتي اعتمدها تعليم اللغات الأجنبية و لا تزال معتمدة في بعض البلدان. تستهدف هذه الطريقة أولا تدريس قواعد اللغة الأجنبية و مفرداتها، و تدفع المتعلم إلى حفظها و استظهارها، كما تساعد على ثبات المعلومة في ذهن المتعلم و على صحة وصولها إليه. و يتم تعليم اللغة عن طريق الترجمة بين اللغتين: الأم والأجنبية، وتهتم هذه الطريقة بتنمية مهارتي القراءة والكتابة في اللغة الأجنبية. إلا أن الدارسون نعتوا هذه الطريقة بالعقيمة و الصارمة لأنها لا تحقق الهدف المنشود، ألا و هو الممارسة الفعلية للغة، و بالتالي فهي تهمل مهارة الكلام التي تعتبر أساسية في أي لغة كما أنها تقلل من فرص عرض اللغة على المتعلم.

أما الطرق الحديثة فهي تسعى بتنوعها إلى تعليم اللغات بطرق مختلفة كالطريقة المباشرة، التي تعطي الأولوية لمهارة الكلام و تهمل مهارتي الكتابة و القراءة و تعتمد على الاقتران المباشر بين الكلمة و الشيء و تتحاشى الترجمة و تعتبرها بلا فائدة. يعاب على هذه الطريقة عدم استعمال الترجمة في التعليم (حتى عند الضرورة) لأنه يؤدي إلى ضياع الوقت، وبذل جهد كثير من قبل المعلم و المتعلم على حد سواء. في حين تعتمد الطريقة السمعية الشفهية كما يشير اسمها على عرض اللغة على المتعلم مشافهة في أول الأمر. أما القراءة و الكتابة فتأتيان لاحقا، كما تعتمد على الاستعمال المكثف للوسائل السمعية البصرية و لا تمانع في استعمال الترجمة إذا اقتضت الضرورة.

و اللافت للانتباه أن طرق تعليم اللغات بما فيها التقليدية أو الحديثة توظف الترجمة في خدمتها باستعمال أو إدراج بعض التمارين من و إلى اللغة الأم. و لقد أثبتت هذه الطريقة نجاعتها مما جعل بعض البلدان تعيد إدراجها في دروس اللغات الأجنبية. ففي لبنان مثلا تشير إحدى المدرسات إلى أنها "حققت نتائج حسنة باعتماد أسلوب الترجمة" و إلى أن استبعاد الترجمة "مستحيل". (أنظر بحث حول دور الترجمة في تعليم اللغات، www.atida.org).

لا يمكننا منع الترجمة العفوية عند المتعلِّم، لأنه يصعب على المعلِّم التحكم في الترجمة الذهنية التي يقوم بها المتعلِّم، كما يمكن لهذه الترجمة أن تكون خاطئة إن لم تصحح و تبقى كذلك في ذهن المتعلم .

و في هذه الحالة، يجب أن نميز بين الترجمة بمفهومها الواسع والترجمة البيداغوجية أو التعليمية ،والتأكيد على أن :

- الترجمة أداة تساعد المعلِّم والمتعلِّم على حد سواء.
- الترجمة وسيلة مكمِّلة لتعلُّم اللغات الأجنبية إلى جانب الأساليب التعليمية الأخرى.
- الترجمة هي مقدرة في اللغة الأم ومقدرة في اللغة الأجنبية.

1.6. تعليم اللغات في إطار النظرية التأويلية la théorie interprétative :

ترتبط النظرية التأويلية بمدرسة باريس ESIT (المدرسة العليا للمترجمين و التراجمة)، و التي تعدُّ كل من دانيكا سليسكوفيتش Danica Seleskovitch و ماريان لوديرر Marianne Lederer من مؤسِّسيها ومطوِّري مفاهيمها، حيث يقول هيربولو:

« Pour la Théorie du sens, il s'agit de **déverbaliser**, après avoir compris, puis de **reformuler** ou **ré-exprimer**, et le plus grand mérite de Danica Seleskovitch et de Marianne Lederer est d'avoir démontré à quel point ce processus est non seulement important, mais également naturel » (Herbulot, 2004 :309).

تتلخص **النظرية التأويلية** أو ما يعرف بـ **نظرية المعنى** في مفهومي déverbalisation التجريد اللغوي و reformulation إعادة الصياغة أي ضرورة تفكيك النص الأصل لفهمه و استيعابه ثم تركيبه من جديد بما يطابق عبقرية اللغة المنقول إليها.

و هي النظرية الترجمية التي اهتمت بتعليمية اللغات من خلال تطبيق مبادئ نظرية المعنى لتحقيق عنصري الفهم و التركيب على أسس صحيحة.

و المقاربة التواصلية l'approche communicative تدرس المعنى في سياقه الاجتماعي اللغوي، أي أن المنهجية التقليدية التي تضع القواعد و الترجمة في صلب العملية التعليمية للغة الأجنبية لم تعد تلق عناية حيث اتجه الاهتمام في المقاربة التواصلية إلى تدريس اللغة في بعدها الاجتماعي، و العمل على إدراك الخطاب بشكل أوسع بالتركيز على المعنى (أنظر Cuq & Gruca 2003:248).

و هو ما يؤكده **مانجينو** Maingueneau بقوله:

« Comprendre un énoncé, ce n'est pas seulement se reporter à une grammaire et à un dictionnaire, c'est mobiliser des savoirs très divers, faire des hypothèses, raisonner en construisant un contexte qui n'est pas une donnée préétablit et stable » (2002:6).

و عليه يتعدى تعليم اللغات الأجنبية الطرق التقليدية بتلقين المفردات و استيعاب القواعد إلى تحديد معانيها في سياقاتها اللغوية و غير اللغوية و هذا ما قد تكفله الترجمة بتطبيق بعض نظرياتها و في ما يخدم العملية التعليمية.

7. دراسة تطبيقية:

الواقع التربوي عندنا لا يوحي بمعرفة اللغات و إتقانها فأساتذة اللغات الأجنبية يتذمرون من تدني مستوى التلاميذ و تراجع التحصيل التعليمي من جهة، و يشتكي الأولياء من أساتذة اللغة الفرنسية خاصة الذين تخرجوا مؤخرا و يطالبون بإعادة النظر في أساليب التعليم من جهة أخرى.

قمنا بدراسة عينات من ترجمة نص للكاتب الجزائري مولود فرعون Mouloud Feraounعن مؤلفه باللغة الفرنسية "le fils du pauvre" (نجل الفقير) كمحاولة قام بها تطوعيا تلاميذ أقسام السنة الثالثة والثانية ثانوي، شعبة اللغات الأجنبية لإحدى ثانويات الجزائر غرب للموسم الدراسي2016/2015. والغرض من ذلك الوقوف على الأخطاء اللغوية و التركيبية و الدلالية التي رصدناها عند تلاميذ هذه الشعبة باعتماد المنهج التحليلي المقارن.

استحسن بعض التلاميذ ووافقوا بمحض إرادتهم على المساهمة في عملية الترجمة، و من التلاميذ من اعتبرها من سابع المستحيلات و فضلوا لو كانت الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، و لو كانت الترجمة من الفرنسية إلى العربية إجبارية فستكون ترجمة شفهية و تكون تلخيصا لمجمل أفكار النص ولن تكون باللغة العربية الفصحى بل ستكون هجينا بين العربية الفصحى و العامية.

و فيما يلي نورد جدولا يلخص الدراسة الإحصائية التي قمنا بها و جسدنا من خلالها مختلف الأخطاء التي وقع فيها تلاميذ السنة الثالثة ثانوي بعد ترجمتهم للنص الأدبي الذي ألفه مولود فرعون من اللغة الفرنسية إلى العربية.

نوع الخطأ	الخطأ في الصياغة والتركيب	الخطأ في الإضافة أو الحذف	الخطأ في المعنى	الخطأ في النحو	الخطأ في الإملاء	الخطأ في الصرف
عدد الأخطاء	77	22	18	20	15	9

النسبة المئوية	% 47,82	%13,67	%11,18	%12,42	%9,31	%5,60
مجموع الأخطاء	161					

جدول توضيحي لأخطاء تلاميذ السنة الثالثة ثانوي (لنص منقول: فرنسي/ عربي)

يتضح من جدول النسب المئوية أن مجموعة الأخطاء التي رصدناها تتمثل في 161 خطأ، و أن الأخطاء اللغوية الأكثر شيوعًا عند تلاميذ الصف النهائي في ترجمتهم من الفرنسية إلى العربية هي أخطاء في الصياغة و التركيب حيث بلغت نسبتها 47,82% و عدد أخطائها يقدر بـ 77 خطأ، أي بمعدل 7 أخطاء في كل نص مترجم، متبوعًا بأخطاء في المعنى بنسبة 13,67% بعدد 22 خطأ. ثم تليها أخطاء في النحو بمعدل 12,42% بعدد 20 خطأ و بعد ذلك أخطاء في الحذف أو الإضافة بنسبة 11,18% بعدد 18 خطأ ثم تعقبها أخطاء في الإملاء بنسبة 9,31% بعدد 15 خطأ. أمّا أخطاء الصرف فاحتلت المرتبة الأخيرة بنسبة 5,60% و بعدد 9 أخطاء.

كما لاحظنا في الجدول أعلاه أن العدد الإجمالي للأخطاء قُدر بـ 161 خطأ غير أننا نفترض أن هذا العدد مرشح للارتفاع لو كانت كل الترجمات التي قدمها التلاميذ كاملة.

و نورد فيما يلي جدولا آخر يلخص الدراسة الإحصائية في مختلف أخطاء تلاميذ السنة الثانية ثانوي بعد ترجمتهم للنص الأدبي الذي ألفه مولود فرعون من اللغة الفرنسية إلى العربية.

نوع الخطأ	**الخطأ في الصياغة والتركيب**	**الخطأ في المعنى**	**الخطأ في الإضافة أو الحذف**	**الخطأ في النحو**	**الخطأ في الإملاء**	**الخطأ في الصرف**

عدد الأخطاء	52	9	10	7	8	2
النسبة %	%59،10	%10،22	%11،36	%7،95	% 9،10	%2،27
مجموع الأخطاء	88					

جدول توضيحي لأخطاء تلاميذ السنة الثانية ثانوي (في نص منقول: فرنسي / عربي)

إن إجمالي الأخطاء التي أحصيناها تقدر بـ 88 خطأ. و يظهر لنا بوضوح أن الأخطاء اللغوية الأكثر شيوعا عند المتعلمين في ترجمتهم من الفرنسية إلى العربية هي أخطاء في الصياغة و التركيب، حيث أخذت حصة الأسد بنسبة 59,10 % و عدد أخطائها 52 خطأ ثم تليها أخطاء في الإضافة أو الحذف بنسبة 11,36 % و بأخطاء تقدر بـ 10 أخطاء. أما المرتبة الثالثة فهي لأخطاء المعنى بنسبة 10,22% و 9 أخطاء. ثم تأتي في المركز الرابع الأخطاء الإملائية بنسبة 9,10% و بعدد 8 أخطاء. أما الأخطاء النحوية، فقد احتلت المركز الخامس بنسبة 7,95% و بلغ عدد أخطائها 7. و تأتي في ذيل الترتيب الأخطاء الصرفية بنسبة ضعيفة قدرت بـ 2,27% و عدد أخطائها 2.

و ما شد انتباهنا من خلال دراستنا و تحليلنا للجدول، ذلك العدد الكبير للأخطاء في الصياغة و التركيب حيث بلغت نسبة عالية بالمقارنة مع الأخطاء الأخرى. و هذا راجع إلى عدم ممارسة التلاميذ لعملية الترجمة بشكل منتظم أو لأن غالبية الترجمات كانت ترجمات حرفية.

بعد تحليلنا لنماذج ترجمات التلاميذ و إحصاء مختلف الأخطاء الواردة فيها تبين لنا عمق المشكلة التي يعانيها تلامذتنا في تحصيل و ممارسة اللغات الأجنبية، و لاسيما الفرنسية منها، ويعود هذا حسب رأينا إلى عدم إتقانهم للغة العربية الفصحى منذ المراحل الأولى للتعليم و استعمالهم للعامية كلغة وسيطة بطريقة عفوية أو لجوئهم إلى لغات أخرى، و هذه ظاهرة شائعة في أقسام اللغات الأجنبية. و تأتي الأخطاء الصرفية و النحوية في مؤخرة الترتيب. و يدل هذا على عدم تمكنهم من قواعد اللغتين بسبب قلة الممارسة أو التمارين التطبيقية التي تساهم في تثبيتها و ترسيخها في ذهن المتعلم. فمتى تمكَّن المتعلِّم

من لغته الأم تمكَّن من اللغات الأخرى، ولا يتأتى ذلك في رأينا إلا بالمقارنة والمقاربة بين لغتين كما هو معمول به في الترجمة.

الخاتمة:

نخلص في آخر المطاف إلى أن الترجمة حاضرة بطريقة عفوية في درس اللغات الأجنبية لشرح الدرس أو للتحقق من صحة المعلومة و ترسيخها في ذهن المتعلم صحيحة لا مغلوطة كما أنها حاضرة في ذهن التلميذ.

الترجمة أداة بناءة لتعليم اللغات بشرط ألا تكون الطريقة الوحيدة في تعليمها بل تدرج معها نشاطات أخرى مكملة كعرض اللغة شفهيا و كتابيا على المتعلم و كذلك تدريبه على الكتابة.

يمكن لتمارين النقل و التعجيم thème/ version أن تساهم في تعليم و تعلُّم اللغة الأم و اللغة الأجنبية، و بالتالي يجب أن تكون الترجمة خطوة مكملة supplémentaire انطلاقا من لغة متقنة تمام الإتقان.

أي أن للترجمة دور في استظهار مواطن الضعف لدى التلاميذ في معارفهم اللغوية و قدراتهم على اكتساب آليات التحصيل قصد التمكن من اللغة الأجنبية و استخدامها عن دراية و خبرة بقواعدها وصرفها و تراكيبها بمراعاة سياقاتها و وظائفها المختلفة. و هو ما يجعلنا ننادي عاليا بضرورة الالتفات إلى حل هذه المعضلة بوضع خطط مستعجلة لتدارك الأمر و إلا سيسوء الأمر و لن نساير ركب التقدم التكنولوجي.

❖ المصادر و المراجع:

-Cary, E. (1956) La traduction dans le monde moderne. Genève, Librairie de l'Université.

-Cuq, JP. et Gruca, I. (2003) Cours de didactique du français langue étrangère et seconde, Presses Universitaires de Grenoble.

-Delisle, J. (L'enseignement du français en Algérie 1980). *L'Analyse du discours comme méthode de traduction*. Ottawa: Presses de l'Université d'Ottawa.

- Durieux, C. (2005) *L'enseignement de la traduction: enjeux et démarches*. Méta, 50,1, p. 36-47.

- Forges, G. et Braun, A. (1998) Didactique des langues, traductologie et communication. Paris, Bruxelles : De Boeck Université.
- Herbulot, F. (2004) La théorie interprétative ou théorie du sens : Point de vue d'une praticienne. Méta, 49, 2, p. 307-315.
-Ladmiral, J.-R. (1979). *Traduire : théorème pour la traduction*. Paris: Gallimard.
-Lavault, E. (1985). Fonctions de la traduction en didactique des langues. Paris, Didier.
-L'éducateur, n°9, nov/déc. 2007.
-Maingueneau, D. (2002) Analyser les textes de communication, Nathan/ VUEF.
-Ordonnance nº 08/04 du 16.04.1976, titre III, article 25-BOEN, nº spécial 02.

.

❖ **المراجع الإلكترونية:**

- ccisdb.ksu.edu.sa/files/rep7300000.doc
- fpemsila.arabepro.com/t425-topic
- http://www.education.gov.dz
- https://www.youtube.com/watch?v=igNVdlXhKcI
- www.atida.org دور الترجمة في تعليم اللغات